﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النّساء: 167]

## ❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المناسبة بين الرسالة المحمّدية الواجبة الاتّباع، وبين الصّدود والضّلال

لَمَّا أخبر سبحانه في الآيات السَّابقة عن رسالة الرُّسل (عليهم الصَّلاة والسَّلام)، وأخبر برسالة خاتمهم ﷺ، وشهِد بها، وشهِدتْ ملائكتُه، وأزال شبهات أهل الكتاب؛ لزم من ذلك ثبوتُ الأمر المقرَّر والمشهود به، فوجَب تصديقُهم، والإيمانُ بهم واتِّباعُهم، جاءت هذه الآية؛ لتبيِّن أنَّهم أصرُّوا على الكفر، ولم يقف الأمر عند كفرهم، بل صدُّوا، ومنعوا غيرهم عن الدُّخول في دين الإسلام؛ لذلك بيَّن الله لهمْ سُوءَ عاقِبَةِ أمرهم والمصير الَّذي ينتظرهم؛ زجرًا عن مثل حالهم وتقبيحًا لما أبدوه من ضلالهم[1].

## ❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَدُّواْ﴾: الصَدُّ: إعْراضٌ وَعُدولٌ وَمَيْلٌ إلى أَحَدِ الجانِبَيْنِ، صَدَدْتُ فُلانًا عَنِ الأَمْرِ؛ إذا عَدَلتهُ عَنْهُ، والصُّدودُ والصَّدُّ: قد يكون انصرافًا عن الشَّيء وامتناعًا، وقد يكون صرفًا ومنعًا[2]. ومعنى ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أي: صرفوا أنفسهم وغيرهم عن الدُّخول في الإسلام؛ لأنَّ الّذي يصدُّ غيره قد ابتدأ بصدِّ نفسه[3].

## ❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

من كفر بالله ورسوله وصدّ عن سبيله، فقد ضلّ ضلالا بعيدا

إنَّ الّذين كفروا بالله وبرسوله وبالقرآن، ومنعوا النَّاس من الدُّخول في الإسلام، واتِّباع طريق الهدى والفلاح بإلقاءِ الشُّبهات

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 2/373، ورضا، تفسير المنار: 6/64.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (صدد).
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 4/1970.

في قلوبهم، خرجوا عن الحقِّ والصّواب وبعُدوا عنه بُعدًا عظيمًا إلى أقصى نهايات البعد عن الطّريق المستقيم، فمن كفر؛ فقد بَعُدَ عن الحقِّ، ومن أَضلَّ غيرَه؛ فقد زاد بُعدُه، وكلَّما استمرّ على الضّلال والإضلال وإغواء المهتدين، وإثارة الشُّبهات حول دينهم؛ فقد أَوغل في البعد عن الطّريق السّويِّ.

### ❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

**دلالة عدم عطف هذه الآية على ما قبلها:**

الإيمان بالله ورسوله دليل الهدى، والكفر طريق الضَّلال

لم تعطف هذه الآية على ما قبلها؛ لأنَّها كلامٌ مستأنف جاء لبيان أحوال الذين كفروا، وصدُّوا عن سبيل الله بعد أن شهد الله على صدق نبوَّة رسوله وعلى ما أُنزل عليه؛ لذلك لم يذكر حرف العطف؛ لأنَّ الآية جاءت لبيان أحوالهم.وعلى ذلك إذا وُصف أهل الكفر بالضَّلال؛ ثبت نقيضه لأهل الإيمان، وهو الهداية.

**دلالة بدء الآية بـ﴿إِنَّ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:**

الكفران والصّدود مظهران للعناد والجحود

افتُتحت الآية بحرف التَّأكيد ﴿إِنَّ﴾ للفت الانتباه، والاهتمام بالخبر الَّذي تحمله الآية في الحكم على الَّذين كفروا، وصدُّوا عن سبيل الله، وفيه إشارة إلى إصرار أهل الكتاب على عدم الإيمان، بعد وجود ما يُطمع في إيمانهم من شهادة الله، وشهادة الملائكة على صدق نبوَّته ﷺ.

**دلالة التَّعبير بـ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ دون لفظ (الكافرين):**

من الكفر ما تشتدّ وطأته، ويتفاقم أذاه

جاء التَّعبير بلفظ الَّذين كفروا دون لفظ الكافرين؛ للإشارة إلى فريق منهم ميؤوسٍ من إيمانه، وهم اليهود، وفي ذلك إشارة إلى كمال ذمِّهم واستحقاقهم لهذا الوصف ﴿ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [إبراهيم: 18] بسبب كفرهم وصدِّهم عن دين الله ومنهج محمَّد ﷺ، بعدما سبق من الشَّهادة على صدق نبوَّته ورسالته ﷺ.

**دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿كَفَرُواْ﴾ في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:**

من الكفر واقعٌ معهود، ومتوقّعٌ مشهود

عبَّر بالفعل الماضي الَّذي يدلُّ على تحقُّق الوقوع وثبوته، وفي هذا إشارة إلى أنَّ كفرهم برسول الله ﷺ راسخٌ في قلوبهم، حتَّى أفقدهم التَّفكير في الإيمان به ﷺ، ويدلُّ على التَّنفير من الوصف بالكفر، ولو كان لكفر النِّعمة.

**دلالة حذف متعلَّق الفعل ﴿كَفَرُواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾:**

الإيجازُ للعلم بالمحذوف، وقصد العموم

حذف متعلَّق الكفر؛ لأنَّ القصد الإشارة إلى عموم كفرهم، لدفع توهُّم إيمانهم بموسى(عليه السلام)، فعدم إيمانهم برسول الله ﷺ، يلزم منه عدم الإيمان بموسى؛ لأنَّهم فرَّقوا بين رسل الله، والتَّفريق بينهم كفر، ويجوز أن يكون المراد في حذف متعلَّق الكفر أنَّهم كفروا بالله، وبما أنزَل، وجحدوا بنبوَّة محمَّد ﷺ، وكتب الله ورسله وحذفت هذه الصِّلة اختصارًا للعلم بها.

**دلالة التَّعبير بالصَّدِّ دون المنع، في قوله: ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:**

تمكَّن الصّدّ عن سبيل الله من قلوبهم، حتَّى صار ديدَنهم ومطلبهم

آثر القرآن الكريم التَّعبير بالفعل ﴿وَصَدُّواْ﴾ دون غيره؛ لأنَّ الصَّدَّ: هو المنع وصرف النَّاس عن الدُّخول في الإسلام، واتِّباع الرَّسول ﷺ، وهذا المنع بشرط أن يكون هذا المنع شديدًا؛ لأنَّ الصَّدَّ من الجبل ما يحول بينك وبين ما تريد لشدَّته، ومنه الصَّديد الَّذي حال بين اللَّحم والجلد من القيح؛ فكلُّ هذه المعاني تدلُّ على أنَّ الصَّدَّ أقوى من المنع، وممَّا يزيد هذا المعنى بيانًا أنَّ البنية اللُّغويَّة في مادَّة الصَّدِّ أقوى منها في مادَّة المنع؛ لأنَّ بعض صفات الصَّدِّ تدلُّ على الشِّدَّة، وممَّا يؤكِّد هذا المعنى استعمال القرآن الكريم هذا الفعل مع كفَّار مكَّة في صدِّ الرَّسول ﷺ، عن المسجد الحرام عند أداء العمرة، قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾، دلالة التَّعبير بالفعل الماضي ﴿وَصَدُّواْ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ﴾ عبَّر بالفعل الماضي للدَّلالة على أنَّ صدَّهم عن دين الله ليس أمرًا عفويًّا؛ بل هو أمر تمكَّن في قلوبهم حتَّى صار وظيفة لبعضهم، فلا عمل لهم إلَّا الصَّدُّ عن سبيل الله.

**دلالة حذف المفعول للفعل ﴿وَصَدُّواْ﴾:**

تقدير المحذوف، منهج في اللّغة العربيّة مألوف

حُذِفَ المَفْعولُ لِقَصْدِ التَّكْثيرِ[1]، وكأنَّ المعنى: أنَّهم صدُّوا كلَّ من أراد الدُّخول في الإسلام؛ فلم يقف أمر الصَّدِّ لمن كان من جنسهم أو كان على دينهم؛ بل همُّهم الصَّدُّ لكلِّ من تسوِّل له نفسه التَّفكير في الإسلام، فضلًا عن الدُّخول فيه.

**دلالة الجمع بين الكفر والصَّدِّ في الآية الكريمة:**

أغلب الآيات الجامعة بين الكفر والصَّدِّ وردت في السُّور المدنيَّة

قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، أشار فيها القرآن الكريم إلى أنَّ اليهود ومن على شاكلتهم، لم يقفوا عند حدِّ الكفر، بل ضمُّوا إلى كفرهم الصَّدَّ، وهذا هو مسلك اليهود مع الرَّسول ﷺ، ودعوته وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ الكفرة على صنفين: صنف منهم بقيَ على كفره، وصنف جمع مع الكفر الصَّدَّ، وهذا واضح في دور اليهود في تأسيس الدولة الإسلاميَّة في المدينة المنورة، يؤكِّد ذلك أن أغلب الآيات التّي جمعت بين الكفر والصَّدِّ، جاءت في السُّور المدنيَّة باستثناء ورود موضع سورة النَّحل، وهي مكيَّة، حيث ذكر فيها الجمع بين الكفر والصَّدِّ، وهي في سياق مشركي مكَّة؛ لأنَّهم لم يقفوا عند حيِّز الكفر، بل صدُّوا كلَّ من يبحث عن الدَّعوة الإسلاميَّة في الجزيرة العربيَّة.

**دلالة الضَّلال البعيد في قوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًا بَعِيدًا﴾:**

ختمت الآية بهذا الوصف؛ لأنَّ كفرهم بالله ورسوله، وصدَّهم عن دينه بعد شهادة الله في قوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ وصل إلى

(1) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/46.

حدِّ المبالغة في العدول عن الطَّريق المستقيم والمنهج القويم؛ لذلك ناسب وصفهم بالضَّلال البعيد، وفي هذا إشارة إلى عِظَم جرمهم وعمق ضلالهم[1].وَصْفُ الضّلالِ بِالبَعيدِ - مَعَ أَنَّ البُعْدَ مِنْ صِفاتِ المَسافاتِ - هُوَ اسْتِعارَةُ البُعْدِ لِشِدَّةِ الضَّلالِ وكَمالِهِ في نَوْعِهِ، بِحَيْثُ لا يُدْرَكُ مِقْدارُ ضلال من ضلوا؛ لأنَّهم ابتعدوا كثيرًا عن طريق الهداية والحقِّ.

علاقة عَجُز الآية بصدرها، وأثر ذلك في المعنى

**بلاغة الاستعارة التَّصريحيَّة، في قوله تعالى: ﴿وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾:**

آثر التَّعبير بلفظ ﴿سَبِيلِ﴾ في قوله: ﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ عن دين الله من باب الاستعارة التَّصريحيَّة، فقد استعار السَّبيل الَّذي يدلُّ على امتداد وسعة وسهولة ويسر لدين الله، وفيه إشارة إلى هؤلاء الَّذين كفروا، وصدُّوا، ولم يقف أمرهم على الصَّدِّ عن دين الإسلام؛ بل صدُّوا عن كلِّ سبيلٍ يتوصَّل به إلى الخير عمومًا، وإلى الإيمان بالنَّبيِّ ﷺ خصوصًا، فأنكروا نعته في التَّوراة، وقالوا: لا نعرفه في كتابنا، وأنَّ شريعة موسى(عليه السلام) لا تنسخ، وأنَّ الأنبياء لا يكونون إلَّا من أولاد هارون وداود (عليهما السلام)[2].

الصَّدُّودُ قطعٌ متعمّدٌ لكلِّ سبيلٍ يتوصَّل به إلى الخير والهداية

**دلالة الاستعارة بإطلاق الضَّلال على الكفر:**

إِطْلاقُ الضَّلالِ عَلى الكُفْرِ اسْتِعارَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلى اسْتِعارَةِ الطَّرِيقِ المُسْتَقِيمِ لِلإيمانِ[3]، ففيه تشبيه حالهم بحال الَّذين يسيرون في بيداء، وقد ضلُّوا الطَّريق، فكلَّما ساروا؛ بَعُدوا عن الجادَّة، وكان سيرهم ضلالًا بعيدًا عن سواء الصِّراط، لا يجدون من يهديهم إليه، وهم بهذا قد تعدَّوا الضَّلال، ضلال أنفسهم، إلى الضَّلال البعيد، حيث أضلُّوا غيرهم.

الضّلال البعيد انحراف عن الهدى بإضلال الآخرين

(1) مجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 2/983.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 6/22.
(3) ابن عاشور، التّحريرُ والتّنوير: 6/46.

**دلالة الإتيان بـ ﴿قَدْ﴾ في قوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ﴾:**

من الهلاك المبين، رسوخ صفة الضّلال المهين

دلَّت ﴿قَدْ﴾ – وهي تفيد التَّحقيق –، على أنَّهم حقَّقوا الضَّلال في أنفسهم بمعناه اللُّغويِّ والشَّرعيِّ؛ فهم ابتعدواْ عن أسباب الهداية؛ فضلًا عن الهداية نفسها، يؤكِّد هذا أنَّ الفعل الماضي – الَّذي يدلُّ على تحقُّق الوقوع، استعمله القرآن في رسوخ صفة الضَّلال فيهم.

**من مواطن الجمال جناس الاشتقاق، في قوله: ﴿ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا﴾:**

هناك فرق بين الضّال والمضلّ، وكلاهما هالك لا محالة

في قوله تعالى: ﴿ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا﴾ جناس اشتقاق مغاير؛ لاتِّفاقهما في مادَّة (ضلل)، واختلافهما في الاسميَّة والفعليَّة، وعبَّر بذلك؛ لأنَّهم جمعوا بين الضَّلال والإضلال، فالمضلُّ يكون أوغل في الضَّلال وأبعد عن الإقلاع عنه؛ بخلاف الضَّالِّ، فهو ضالٌّ في نفسه، لم يتعدَّ إلى غيره.

**دلالة الجمع بين الاسميَّة والفعليَّة في قوله: ﴿قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾:**

أثر البنية الصّوتيّة في المناسبة بين المبنى والمعنى

دلَّ ذلك على فعل الضَّلال في زمن ما؛ فقد يفهم من التَّعبير بالفعليَّة أنَّهم ضلُّوا في زمن دون زمن؛ فجاءت الاسميَّة لإفادة وصفهم بالضَّلال على وجه الثُّبوت والاستمرار في الضَّلال، ولذلك إذا تأمَّلنا البنية الصَّوتيَّة للفعل (ضلَّ – ضلالاً)؛ فسنجد أنَّ حرف الضَّاد بصوته المُفخم الشَّديد، هو الصَّوت المحوريُّ للكلمتين، وهو مناسبٌ لشدَّة الظَّلام الَّذي يعيشه هؤلاء الضَّالُّون.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن، سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
---
227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 8 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-60-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 8 : سورة النساء من الآية 115 إلى الآية 25 من سورة المائدة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي
---
الترقيم الدولي : 978-9948-798-60-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8115353 بتاريخ 2023/03/22م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»